الوسطية في أركان الإيمان
في ضوء الكتاب والسنة

دكتور/ سليمان بن محمد الدبيخي
الأستاذ المشارك في قسم الثقافة الإسلامية
جامعة حائل

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن التوسط والاعتدال مطلب شرعي، ومبدأ قرآني، وضرورة حياتية، تَمثَّلها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله، وحياته ومعاشه، ولذا كانت الوسطية سمة بارزة في عقيدة الإسلام وتشريعاته، وهو ما امتن الله به على هذه الأمة أن جعلها أمة وسطاً، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وذلك يستلزم الخيرية فيها، وهو ما نص الباري جل وعلا عليه، كما في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وليست الوسطية في العقائد فقط، بل في سائر أحكام الشريعة أيضاً، ففي باب العبادات مثلاً نجد الله تعالى يؤكد على الوسطية والاعتدال، فيقول جل وعلا: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ١١٠].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم امرأة لا تنام الليل، تصلي، فقال: (مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا) قالت: وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه[1]

(١) متفق عليه: البخاري (٢٤/١) ح (٤٣) ومسلم (٣٢٠/٦) ح (٧٨٥).

وفي باب النفقة يقول جل شأنه في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

يقول السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ "أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى"(١).

ومن لزم الوسطية والاعتدال وفق ورشد، واستقام أمره، وطاب عيشه، وصلح حاله.

والوسطية سلوك دائم، يجب امتثاله عقيدة، وعبادة، وعلماً وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة.

فكم لنصوصهما ردوا ومن جَانَبَها، وعدل عنها، سواء بإفراط أو تفريط، حاد عن الطريق، وانحرف عن المنهج القويم، والصراط المستقيم، وربما أوقع نفسه وغيره في الفساد والإفساد، إما بتبديع المسلمين وتكفيرهم، واستحلال دمائهم وأموالهم بغير حق، وإما بهدم الدين تهويناً لواجباته، وتسويغاً لمحرماته، بتبريرات باطلة، وتأويلات منكرة.

"فسل محراب عمر رضي الله عنه مَن قاتِلُه؟ وسل مصحف عثمان رضي الله عنه من بالدماء لطخه؟ سل التاريخ عن ممالك زالت، ودول بادت؟

سله، أما مرَّ أقوام بالقرآن لم يقنعوا، أو لم يفهموا؟ وبالسنة لم يسمعوا، أو يعملوا؟.

وحرفوا؟ وبالعقل تسلطوا عليهما وتجرؤا ؟"(٢)

ألم ينفروا بأعمالهم وسلوكهم عن الإسلام أقواما؟ ويفتحوا لتسلط الأعداء على المسلمين أبوابا؟.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٥٧/١).

(٢) مقتبس (بتصرف) من مقدمة الشيخ هشام البيلي لكتاب القصد والوسطية في ضوء السنة النبوية.

فيالله ما أعظم جناية هؤلاء على الإسلام والمسلمين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إليهم حين قال: (سيكون في أُمتي اختلاف وفرقة، ثم قوم يُحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ...)(١)

وقال أيضاً في وصف الخوارج: (يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ)(٢)

ومن هذا القول الحسن ما يدَّعونه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم يرفعون شعاره ويُسيئون استخدامه، وما اعتراض أولهم على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الباب، وما خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا من هذا الباب أيضاً.

قال الآجري رحمه الله: «ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم ؛ لأنهم قوم يتأوَّلون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين»(٣)

وقال أيضاً رحمه الله: "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمامٍ، عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعةً، وسلَّ سيفه، واستحلَّ قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغترَّ بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"(٤)

وقال ابن حجر بعد ذكره لحديث أبي سعيد رضي الله عنه في الخوارج: "وفيه التحذير من الغلو في الديانة، والتنطع في العبادة، بالحمل على لنفس فيما لم يأذن فيه

---

(١) أبو داود في سننه (عون ١٣/٧٨) ح (٤٧٥٠) والآجري في الشريعة، واللفظ له (١/٣٣٦) ح (٤٠) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٠٣) ح (٣٩٨٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣/١٣٢١) ح (٣٤١٥) ومسلم (٧/١٧٥) ح (١٠٦٦).

(٣) الشريعة (١/٣٢٥).

(٤) الشريعة (١/٣٤٥).

الشرع، وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج"[1]

وإذا كان هؤلاء حملوا الدين على الشدة والغلو، فكان بُعدهم عن الوسطية من هذا الجانب، فثمة فئة أخرى لا تقل عن هذه الفئة خطورة، أسقطوا الوسطية على مفهوم التيسير والتسهيل في نظرهم، حيث حملوا على عواتقهم ما يُسمونه –زوراً وبهتاناً– تيسيراً وتسهيلاً، فتسلطوا على نصوص الشريعة بتأويلات مستبشعة، وفتاوى مضللة –عبر وسائل إعلامية متعددة– وكأنهم يفعلون ذلك تحقيقاً لرغبة المستمعين أو المشاهدين.

وإن من أعظم الزور والبهتان تسمية هذا التساهل والتنازل وسطية.

فأُبيح الربا باسم الوسطية! وحام بعض الناس حول الزنا باسم الوسطية!، ودُعي إلى التبرج والسفور والاختلاط باسم الوسطية! وعُطلت المساجد باسم الوسطية! وتجرأ الفساق على أحكام الشريعة باسم الوسطية! ومُدت الجسور مع أعداء الله، من الرافضة ونحوهم، –من قِبل بعض المنتسبين للعلم والدعوة– باسم الوسطية!

إن الوسطية لا تعني تمييع الدين، والتساهل فيه، والتخفف من واجباته، والتنازل عن ثوابته، والمداهنة لأعدائه، بل الدين نوع تكليف، ولذا سُمي المسلم البالغ العاقل مكلفاً، وسُميت أحكام الدين بـــ(الأحكام التكليفية)، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥]. فهو ثقيل لتضمنه الواجب والمحرم، لاشتماله على التكليف الذي يجب أن يلتزمه كل من دان بهذا الإسلام.

نعم الإسلام دين اليسر، والسماحة والسهولة، فالله تعالى يقول: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (يسِّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[2]

---

(١) الفتح (١٢/٣٠١).

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري (١/٣٨) ح (٦٩) ومسلم (١٢/٢٨٥) ح (١٧٣٤).

وتظهر هذه السماحة، وذلك اليسر بجلاء عند مقارنة هذا الدين بتشريعاته المختلفة بالأديان الأخرى.

ولكن ليس الأمر بالذي يذهب إليه هؤلاء، فيبيحون المحرم، وترك الواجب، ويلوون أعناق النصوص، اتباعاً للهوى، وتخففاً من التكاليف، بحجة التيسير والتخفيف.

إن التيسير والسماحة سمة الشريعة، فلا يجوز الخروج عنها، أو السطو عليها، بما نظنه تيسيرا بغير برهان أو دليل، فإن هذا إثم كبير، وجرم عظيم، فضلاً عن كونه يستلزم اتهام الشريعة بالآصار والأغلال.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما"(١)

فالشرط في التيسير: "**ما لم يكن إثماً**" فما بال هؤلاء أو بعضهم يستشهدون بأول هذا الأثر، دون آخره؟!

وتأمل قول الله تعالى في آخر سورة الحج: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[الحج: ٧٨].

فهو يذكر الجهاد الذي في التعرض للقتل، وإزهاق الروح، في سورة الحج، الذي كثيراً ما تقترن به المشقة، -ولهذا سماه الرسول صلى الله عليه وسلم جهاداً لا قتال فيـــــه- ثم يقول الله بعد ذلك: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾

فالتيسير إذاً، ما كان منضبطاً بضوابط الشرع، لا بأهواء الخلق، والله تعالى أعلم.

ولأن الإسلام دين الوسطية، وهو فروع متنوعة، ومجالات مختلفة، فقد حصرت هذا البحث في إبراز وسطية الإسلام وأهله في أركان الإيمان الستة، واقتصرت عند ذكر الأطراف المخالفة بما يحصل به المقصود، فلم أتوسع في ذلك، بل بالقدر الذي تتضح فيه الوسطية في كل ركن من هذه الأركان.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣/١٣٠٦) ح (٣٣٦٧) ومسلم (١٥/٩٠) ح (٢٣٢٧).

خطة البحث:

وقد جعلته في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمراجع وآخر للموضوعات.

وفي التمهيد عقدت مطلبين:

المطلب الأول: معنى الوسطية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان أركان الإيمان.

المبحث الأول: الوسطية في الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الوسطية في الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الوسطية في الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الوسطية في الإيمان بالرسل.

المبحث الخامس: الوسطية في الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الوسطية في الإيمان بالقضاء والقدر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً، ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم موافقاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الوسطية في اللغة والاصطلاح:

الوسطية لغة:

قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه، قال الله عز وجل: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

ويقولون: ضربت وسَطَ رأسه بفتح السين، ووسْط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسباً، إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلاً"(١).

مصطلحات بمعنى الوسطية:

ثمة مصطلحات يمكن أن تشترك في المعنى مع مصطلح الوسطية، بل منها ما يمكن أن يكون مرادفاً لها، ومن ذلك ما يلي:

القصد:

"القصد: استقامة الطريقة، قصد يقصد قصدا فهو قاصد، والقصد في المعيشة: ألا يُسرف ولا يُقتِّر...

ويقال: قصد فلان في مشيه، إذا مشى سوياً ... واقتصد فلان في أمره إذا استقام"(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

"أي: امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين"(٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم: **(والقصد القصد تبلغوا)**(٤).

"أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل"(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٠٨/٦) مادة (وسط).

(٢) تهذيب اللغة (٢٧٤/٨ ، ٢٧٦) مادة (قصد).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٨/١١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٧٤/٥) ح (٦٠٩٨).

(٥) فتح الباري (٢٩٨/١١).

وفي حديث جابر بن سمرة عند مسلم: (كانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً)(١) أي: لا طويلة ولا قصيرة، فهي بين الطول الظاهر، والتخفيف الماحق(٢).

الاعتدال:

قال ابن فارس: "العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج

فالأول: العَدْل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، يقال: هذا عدلٌ، وهما عدل..ومن الباب: المعتدلة من النوق:وهي الحسنة المتفقة الأعضاء"(٣).

التوازن، والاتزان:

قال ابن فارس: "الواو والزاء والنون: بناءٌ يدل على تعديل واستقامة ... ووزين الرأي معتدله، وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل"(٤).

الاستقامة:

هي"اعتدال الشيء واستواؤه"(٥).

يوضحه قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦– ٧].

السداد:

قال ابن فارس: "السين والدال أصل واحد، وهو يدل على ردم شيءٍ وملاءمته، من ذلك: سددت الثلمة سدًّا، وكل حاجز بين الشيئين سدٌّ، ومن ذلك: السديد، ذو السداد، أي الاستقامة، كأنه لا ثلمة فيه"(٦)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (**سددوا وقاربوا**)(٧)

---

(١) صحيح مسلم (نووي ٤٠٢/٦) ح (٨٦٦).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٤٠٢/٦) وفتح الباري (٢٩٨/١١)

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٤٦/٤) مادة (عدل).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٠٧/١) مادة (وزن) وينظر: المعجم الوسيط (١٠٢٩/٢) مادة (وزن).

(٥) تهذيب اللغة (٢٧٠/٩) مادة (قوم).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٦٦/٣) مادة (سدّ).

(٧) متفق عليه من حديث عائشة: البخاري(٢٣٧٣/٥)ح(٦٠٩٩)ومسلم (١٦٧/١٧) ح (٢٨١٨).

قال ابن حجر: "معناه: اقصدوا السداد، أي: الصواب ... أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره"(١).

مما تقدم نلاحظ أن هذه المصطلحات تدور على معاني متقاربة: كالعدل والاستواء والحسن والفضل والبينية والاستقامة، ولذا سأذكر لها تعريفاً اصطلاحياً واحداً يطرد فيها كلها.

المعنى الاصطلاحي للوسطية ومرادفاتها:

قد يستعمل بعض الناس هذا المصطلح لما كان وسطاً بين طرفين على كل حال، وليس هو كذلك في موارده في الكتاب والسنة، بل لا بد من تضمنه صفة الخيرية، والاستقامة، كما لا يلزم من كون الشيء وسطاً بهذا المعنى، أن يكون له طرفان، فالعدل وسَطٌ، ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسَطٌ، ولا يقابله إلا الكذب(٢).

وعلى هذا فيمكن أن يقال في تعريفها، هي: الاعتدال والقصد والاستقامة المتضمنة للخيرية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تقصير ولا مغالاة.

وهو ما أرشد الله تعالى إليه بقوله:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال الطبري: "وأما (الوسط) فإنه في كلام العرب: الخيار، يُقال منه: فلان واسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه"(٣).

وقال الراغب الأصفهاني هو: "القصدُ المصون عن الإفراط والتفريط"(٤).

وقال القرطبي: "والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها... وفي التنزيل: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم: ٢٨] أي: أعدلهم وخيرهم"(٥).

ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

---

(١) فتح الباري (٩٧/١١).

(٢) ينظر: الوسطية في الإسلام، لفريد عبد القادر.

(٣) جامع البيان (٦٢٦/٢).

(٤) المفردات (٨٦٩)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/٢).

فقد جاء تفسير الوسط هنا بـــ(العدول) عن جمع من السلف كأبي سعيد الخدري -مرفوعاً وموقوفاً- وأبي هريرة -مرفوعاً- وابن عباس وسعيد ومجاهد وقتادة وغيرهم[1].

المطلب الثاني: بيان أركان الإيمان:

وردت هذه الأركان في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

فالركن الأول: الإيمان بالله.

والركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

والركن الثالث: الإيمان بالكتب.

والركن الرابع: الإيمان بالرسل.

والركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

والركن السادس: الإيمان بالقدر.

قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال جل وعلا: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى في القدر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل سأل النبي عليهما الصلاة والسلام عن الإيمان فقال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر)**[2]

وعند مسلم من حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[3]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان (٢/٦٢٧-٦٢٩).

(٢) البخاري (١/٢٧) ح (٥٠) ومسلم واللفظ له (١/٢٧٥) ح (٩).

(٣) مسلم (١/٢٥٩) ح (٨).

ولأهمية هذه الأركان وعظم شأنها فإن من لم يؤمن بشيء منها فقد كفر وضل ضلالاً مبينا، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وفيما يلي من صفحات عرض موجز لوسطية أهل السنة والجماعة في هذه الأركان.

المبحث الأول
الوسطية في الإيمان بالله تعالى

تظهر الوسطية في أعلى صورها في هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، فالإسلام دين الوسطية في جميع معتقداته وتشريعاته، لأنه تنزيل وتشريع من لدن حكيم حميد، فمن عدل عن تشريع الله تعالى وقع في الأطراف المذمومة، حتى لو كان ناشدا الوسطية، لأن الوسطية في الاتباع لا في الابتداع، فمعيار الوسطية وضابطها موافقة شرع الله تعالى، والاستقامة على أمره، فمن رام غير ذلك فقد ابتعد عن الوسطية بقدر ابتعاده عن شرع الله تعالى.

فالوسطية في هذا الركن العظيم تعني: أن نعبد الله وحده دون من سواه، كما قال تعالى:﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وأن نصفه بما وصف به نفسه على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا تعطيل ولا تمثيل، على حد قوله تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وألا نُضفي على أحدٍ من خلقه شيئاً من صفاته التي يختص بها.

وهنا نجد المسلمين وسط بين اليهود والنصارى في هذا الباب

فاليهود غلب عليهم التفريط والتقصير، وإن كان قد وقع منهم غلو وإفراط، والنصارى غلب عليهم الإفراط والغلو، وإن كان قد وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب(١).

فاليهود ما إن شعروا بالأمان بعد عبورهم البحر ونجاتهم من فرعون وجنوده حتى طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم إلهاً، وذلك لما مرُّوا على قوم يعبدون أصناماً لهم، وهو ما حكاه الله عنهم بقوله:﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

---

(١) ينظر:القصد والوسطية في ضوء السنة النبوية لأبي إبراهيم عبد الواحد بن يوسف الشربيني (١١٥).

ولما تركهم موسى ذاهباً للقاء ربه سارعوا إلى عبادة الأصنام فاتخذوا صنماً على هيئة عجل، وعبدوه من دون الله، كما قال الله تعالى:﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

ولم يكتفوا بهذا بل وصفوا الله تعالى بالنقائص، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فوصفوا الله تعالى بالبخل، كما قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٦٤].

ووصفوه بالفقر،كما قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وزعموا أن لله تعالى ابناً كما قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

والنصارى غلب عليهم الغلو ولإفراط وتجاوز الحدود، ولهذا قال الله فيهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾"[1].

فالنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق، فأضفوا على عيسى عليه السلام صفة الألوهية، وزعموا أنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، كما جعلوا المخلوق مشاركاً للخالق في التشريع والتحليل والتحريم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩٣).

قال ابن كثير في الآية السابقة: "ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلا،أو ضلالا أو رشادًا،أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا –تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته –فلا إله إلا هو، ولا رب سواه"[(١)].

واليهود والنصارى إياهم عنى الله بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

فقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى)**[(٢)]

قال ابن كثير: " طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، –لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق– ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم:﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ ﴾[المائدة: ٦٠]

---

(١) التفسير (٤/٣٨٥–٣٨٧).

(٢) أخرجه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أحمد في مسنده مطولا (١٢٣/٣٢) ح (١٩٣٨١) وابن حبان في صحيحه (١٣٩/١٤) ح (٦٢٤٦) والترمذي في سننه (تحفه ٢٨٦/٨ ، ٢٨٩) ح (٤٠٢٩ ، ٤٠٣٠) وحسن الألباني الأول وصحح الثاني، كما في صحيح سنن الترمذي (١٩/٣ ، ٢٠) ح (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤).

وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]"[١] .

وقال ابن تيمية: " ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين، وجد اليهود والنصارى متقابلين، هؤلاء في طرف ضلال، وهؤلاء في طرف يقابله، والمسلمون هم الوسط.

وذلك في التوحيد والأنبياء والشرائع والحلال والحرام والأخلاق وغير ذلك.

فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب سبحانه عنها، كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تعب لما خلق السماوات والأرض، والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل، كقولهم: إن المسيح هو الله وابن الله.

وكل من القولين يستلزم الآخر .

والنصارى أيضا يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها، ويسبون الله سباً ما سبه إياه أحد من البشر...

والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال، ونزهوه عن النقص وأن يكون له مثل، فوصفوه بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل، مع علمهم أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[٢] .

كما أن أهل السنة وسط في هذا الباب بين الفرق المنتسبة للإسلام، فهم وسط بين من مثّل صفات الله بصفات خلقه، كالكرامية، وبين من عطل الله تعالى عن صفاته، كالجهمية والمعتزلة، فأهل السنة يثبتون صفات الله تعالى على الوجه اللائق به، جل وعلا دون تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) التفسير (١/٢٢٤).

(٢) الجواب الصحيح (٣/١٠٠).

المبحث الثاني

الوسطية في الإيمان بالملائكة

ذكر الله تعالى الملائكة في آيات كثيرة من كتابه:

فأخبر أنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ليس لهم من صفات الألوهية شيء، بل إنهم من عذاب ربهم مشفقون، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٩]

وبيّن الله تعالى أنهم لا يفترون عن عبادته وذكره وتسبيحه، فقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨].

كما أخبر الله تعالى بأن لهم صفات متعددة، ووظائف مختلفة –ليس هذا موضع ذكرها واستقصائها– وذلك كله يدل على أنهم موجودون مخلوقون لعبادة الله وحده.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: **(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)**[(١)]

فالوسطية في هذا الباب تصديق ما تقدم، والإيمان به إيماناً جازماً، دون تقصير أو غلو قد يصل إلى عبادتهم من دون الله تعالى.

لكن فئاماً من الناس وقعوا في الأطراف، ولم يلتزموا هذه الوسطية.

(١) أخرجه مسلم (٣٣٣/١٨) ح (٢٩٩٦).

فالمشركون زعموا أن الملائكة بنات الله، فنسبوا لله تعالى ما يأنفون منه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾[النحل:٥٧].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٧].

وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) ﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٤].

فهم حكموا على الملائكة بأنهم إناث، وأنهم بنات الله، فاستنكر الله هذا الحكم منهم، وهم لم يشهدوا خلقهم، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) ﴾[الزخرف:١٩].

ولم يكتفوا بهذا بل عبدوهم من دون الله تعالى، ويوم القيامة تتبرأ الملائكة منهم، ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وثمة فئة أخرى من الناس أنكرت وجود الملائكة، وزعمت أنهم رمز الخير، أو قوى الخير، كما أن الجن رمز الشر، أو قوى الشر.

وزعمت الفلاسفة أن الملائكة هم الأفلاك التي نراها في الفضاء[1]

ولا ريب أن مؤدى هذا القول إنكار الملائكة، والجن، وهو قول فاسد، بل كفر مخرج من الملة، لأنه يتضمن تكذيب الكتاب والسنة وإجماع الأمة[2].

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح (٦/٢٤) وشرح الأربعين النووية (٦١-٦٢) للعثيمين ومعتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنين في الملائكة المقربين للدكتور محمد العقيل (٣٢٠) والقصد والوسطية (٢٢٤).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح (٦/٢٤) وشرح الأربعين النووية للعثيمين (٦٢).

المبحث الثالث

الوسطية في الإيمان بالكتب

أخبرنا الله تعالى أنه أنزل كتباً على رسله، تكلم الله بها حقيقة، فيها هدى ونور، ودعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والاستقامة على أمره وطاعته، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقد عرفنا من هذه الكتب: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

فالقرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

والتوراة على موسى صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد سماها الله فرقاناً كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣].

والإنجيل كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام، كما قال جلَّ وعلى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ [المائدة: ٤٦].

والزبور آتاه الله داود عيه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

وذكر الله صحف إبراهيم وموسى بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨ – ١٩].

وآخر هذه الكتب وأعظمها: القرآن، فقد حفظه الله من أن تناله يد التحريف والتبديل، كما جعله الله ناسخاً لما قبله من الكتب ومهيمناً عليها، وعليه فيجب الإيمان به، والرجوع إليه، عملاً بأحكامه، وتصديقاً لأخباره.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأخبر الله تعالى أن القرآن فيه تبيان لكل شيء فقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

فمن آمن بما تقدم فقد حقق القصد والوسطية في هذا الركن من أركان الإيمان.

وقد ضل في هذا قسمان من الناس:

القسم الأول: فرطوا وقصروا ، كالرافضة ونحوهم، فحرفوا القرآن لفظاً ومعنى، وزعموا أن القرآن الذي بين أيدينا قد طالته يد التحريف، واتهموا بذلك -زوراً وبهتاناً- خير البرية بعد نبيها، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ألف أحدهم كتاباً في تقرير ذلك، وسمه بـــ(فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب).

وسلفهم في ذلك اليهود، الذي حرفوا التوراة، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾[النساء:٤٦].

وثمة طوائف أخرى من أهل الكلام زعموا أن القرآن ليس كلام الله، وأنه مخلوق، وقد قال الله تعالى مخبراً أن القرآن كلامه ووحيه: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

والقسم الثاني: أفرطوا في القرآن، وأساءوا فهمه، فاقتصروا عليه كمصدر وحيد للشريعة، فرفضوا بعض الأحكام الثابتة في السنة لعدم ورودها في القرآن، ومن وهؤلاء مَنْ يُسمون بالقرآنيين، وسلفهم في هذا الخوارج، ومن نحا نحوهم، حيث أنكروا الرجم والمسح على الخفين، ونحوهما، بحجة عدم ورودهما في القرآن.

قال ابن بطال: "ودفع الخوارج الرجم والمعتزلة واعتلوا بأن الرجم ليس في كتاب الله تعالى"[١].

---

(١) شرح صحيح البخاري (٤٣١/٨).

وقال ابن قدامة: " وجوب الرجم على الزاني المحصن رجلا كان أو امرأة، وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار، ولا نعلم فيه مخالفاً إلا الخوارج ... وقالوا: ليس في كتاب الله إلا الجلد "(١).

ورضي لله عن عمر حيث قال: "إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف"(٢).

قال النووي: "هذا الذي خشيه قد وقع من الخوارج ومن وافقهم"(٣).

وفي المسح على الخفين قال الإمام المروزي: "وقد أنكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض المسح على الخفين، وزعموا أن ذلك خلاف لكتاب الله"(٤).

وقال الإمام الأشعري:"وأنكر السح على الخفين الروافض والخوارج"(٥).

وقال ابن تيمية: "والخوارج جوّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدّقوه فيما بلغه من القرآن، دون ما شرعه من السنة التي تخالف – بزعمهم – ظاهر القرآن"(٦).

---

(١) المغني (١٢/٣٠٩-٣١٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦/٢٥٠٣) ح (٦٤٤٢) ومسلم (١١٢٠٣) ح (١٦٩١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١١/٢٠٤).

(٤) السنة (٢٥٧).

(٥) المقالات (٢/١٦١).

(٦) مجموع الفتاوى (١٩/٧٢).

وقد قال صلى الله عليه وسلم مشيراً إليهم، كما في حديث أبي سعيد وسهل بن حنيف رضي الله عنهما: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)[1] وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)[2] وفي حديث علي رضي الله عنه قال: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ)[3] وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ)[4].

قال البخاري: "وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"[5]

وقال ابن عباس رضي الله عنه وقد ذُكر له الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن: "يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه" وقرأ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[6] [آل عمران: ٧].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر، وهو مخلد في النار"[7].

---

(١) حديث أبي سعيد متفق عليه: البخاري (١٣٢١/٣) ح (٣٤١٤) ومسلم (١٦٦/٧) ح (١٠٦٤)، وحديث سهل متفق عليه أيضاً: البخاري (٢٥٤١/٦) ح (٦٥٣٥) ومسلم (١٨٠/٧)ح (١٠٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥/٧) ح (١٠٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٥/٧) ح (١٠٦٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩/٧) ح (١٠٦٧).

(٥) صحيح البخاري (٢٥٣٩/٦)، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وذكر ابن حجر في الفتح (٣٠١/١٢) أن الطبري وصله في تهذيب الآثار، وأن سنده صحيح.

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة (٣٤٣/١) ح (٤٥) وقال المحقق: "إسناده صحيح" وابن أبي شيبة في المصنف (٥٥٦/٧) ح (٣٧٩٠٢) وعزاه ابن حجر في الفتح (٣٠٠/١٢) إلى الطبري في تهذيبه، وحكم على إسناده بالصحة.

(٧) مجموع الفتاوى (٣٠/١٣) وينظر: (٤٤٦/١٧).

المبحث الرابع

الوسطية في الإيمان بالرسل

بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق أجمعين، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

والواجب الإيمان بهم جميعاً، دون تفريق بينهم، وتوقيرهم، واعتقاد بشريتهم، وعصمتهم فيما يبلغون عن الله تعالى، فلا إفراط ولا تفريط.

وهو ما عليه أهل الإيمان والتوحيد، أهل السنة والجماعة، أهل الاقتصاد والوسطية، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فماذا عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى؟ الواقع أنهم كما أخبر الله تعالى، آمنوا ببعض وكفروا بعضاً، ففرقوا بين أنبياء الله ورسله، فاليهود كذبوا عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، وزعموا الإيمان برسالة موسى والأنبياء قبله، عليهم الصلاة والسلام، وهكذا النصارى كذبت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وزعمت الإيمان برسالة عيسى والأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١].

قال الإمام الطبري: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ من اليهود والنصارى..﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ يعني: أنهم يقولون: نصدّق بهذا ونكذّب بهذا"، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم،

وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم"(١).

بل إن اليهود لم يكتفوا بتكذيب الأنبياء، بل آذوهم وقتلوا بعضهم، كما أخبر الله تعالى عنهم، فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١].

وأما النصارى فبالإضافة إلى ما تقدم من تفريقهم بين أنبياء الله ورسله، قد وقع منهم الإفراط والغلو في عيسى عليه السلام فرفعوه إلى مرتبة الألوهية والربوبية، وزعموا أنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣].

وقال جل وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وهو اعتقاد فاسد، بل كفر أكبر، وغلو مفرط، تبرأ منه عيسى عليه السلام نفسه، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى

(١) جامع البيان (٧/٦٣٤).

بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[المائدة: ١١٦ – ١١٧].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾

وأخبر الله تعالى أن عيسى عليه السلام إنما هو عبد أنعم الله عليه بالرسالة، فقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وهذا الذي وقع فيه النصارى قد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه، لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه من الغلو ومجانبة الوسطية، فقال صلى الله عليه وسلم: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**)[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه (١٢٧١/٣) ح (٣٢٦١).

المبحث الخامس

الوسطية في الإيمان باليوم الآخر

يُقصد باليوم الآخر ما يكون بعد الموت، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ويدخل في ذلك ما يكون عند قيام الساعة، من البعث والحشر، وسائر مشاهد القيامة، وما يسبق ذلك من أشراط الساعة.

وقد تردد ذكر الإيمان باليوم الآخر كثيراً في كتاب الله تعالى بأوصاف شتى وأسماء مختلفة، بل ذكرت أفراده ومشاهده وتفاصيله في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ولأهميته فقد ورد مقروناً بالإيمان بالله تعالى في عدة آيات من كتاب الله تعالى، كما في قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقال جلّ وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقال سبحانه:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩].

وقال تعالى:﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]

وقال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالإيمان باليوم الآخر والتصديق به فرض لازم، وحتم واجب، وهو ما عليه أهل الإيمان والتوحيد، أهل السنة والجماعة، فهم يؤمنون به كما ورد في النصوص الصحيحة، دون خوض في تفاصيل لم ترد، وكيفيات لم تذكر، لأنه أمر غيبي، فالأمر فيه موقوف على السمع، وذلك حقيقة الوسطية والاعتدال.

وقد ضل في هذا الركن العظيم فئام من الناس:

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى حرفوا كثيراً من النصوص المتعلقة باليوم الآخر، كما هو شأنهم في بقية الأركان حتى إنك لا تكاد تجد في التوراة إلا نصاً واحداً يصرح بيوم القيامة(١).

والمشركون أنكروا المعاد والبعث بعد الموت، كما أخبر الله عنهم في عدة مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن: ٧].

وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧ – ٦٨].

وفئة أخرى من الناس من المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، يقولون : إن ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق، لينتفع به الجمهور، لا أنه بيَّن به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق، وقد أُطلِقَ على هؤلاء: أهلُ التخييل(٢).

وقد أشار ابن تيمية إلى أنواع المخالفين في هذا الباب، فقال رحمه الله: "وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين : إما كافر وإما منافق، أما الكافر فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها .

وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط .

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ؛ ولا الأجساد .

---

(١) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي الصلابي (٢٨١-٢٨٢).

(٢) ينظر: الفتوى الحموية الكبرى (٢٧٧-٢٧٨) ومجموع الفتاوى (٥/٣١) كلاهما لابن تيمية.

وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانا في غاية التمام والكمال .

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية -الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة- ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم : من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف -كأصحاب " رسائل إخوان الصفا " وغيرهم- أو منافق .

وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان ؛ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر"(1).

وقد حقق أهل السنة والجماعة الوسطية أيضاً في خوف ذلك اليوم ورجائه، كما أخبر الله بذلك عن أنبيائه وأوليائه، فقال تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٩].

وقال جل وعلا عن أنبيائه:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال سبحانه:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

فأهل الإيمان والتوحيد أهل السنة والجماعة يتقلبون بين الخوف والرجاء، فلا يغلبون أحدهما على الآخر، كحال الخوارج الذين غلبوا جانب الخوف وغلوا في نصوص الوعيد، فانحرفوا عن هدي الكتاب والسنة، وسلف الأمة، وكذا المرجئة الذين غلبوا جانب الرجاء، وغلوا في نصوص الوعد، فانحرفوا كذلك عن هدي الكتاب والسنة وسلف الأمة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣١٣).

فالخير كل الخير في التوسط والاعتدال، والعمل بمجموع النصوص، فلا إفراط ولا تفريط، وذلك منهج القرآن، فلا تكاد تذكر الجنة إلا وتذكر النار، ولا يذكر الخوف إلا ويذكر الرجاء، وإذا ذكرت الرغبة ذكرت الرهبة، وهكذا.

المبحث السادس

الوسطية في الإيمان بالقضاء والقدر

القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، فالواجب فيه -كما هو الشأن في سائر أبواب الاعتقاد- الوقوف عند حدود ما ورد، فالتعمق والتنقير فيه بعيداً عن هدي الكتاب والسنة يورد المهالك، ويقود إلى الضلال والانحراف، ولذا فقد زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وذلك لما عدلت عن الأصل الذي يُعوَّل عليه، والمعين الذي يُنهل منه، والنور الذي يُستضاء به، والمصدر الوحيد العاصم من الزلل بإذن الله تعالى، وهو الكتاب والسنة.

قال الطحاوي: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه"(١).

وقال الآجري: "لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر، لأن القدر سرٌّ من سرِّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق"(٢).

وقال أبو المظفر السمعاني: "سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة، دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب"(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٣٢٠).

(٢) الشريعة (٢/٦٩٧-٦٩٨).

(٣) نقلا عن فتح الباري (١١/٤٧٧).

والذي عليه أهل السنة والجماعة في هذا الباب: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدر قبل أن يكون، وأنه جلَّ وعلا ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه ما وجد موجود ولا عدم معدوم من صغير وكبير وظاهر وباطن في السموات والأرض إلا بمشيئة الله عز وجل، سواءً أكان ذلك من فعله تعالى، أم من فعل مخلوقاته، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة لكنها تحت مشيئة الله تعالى، وأنه تعالى خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه ...

وأن العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر، وأن الأفعال تنسب إليهم حقيقة لا مجازاً، فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً[(١)].

وقد استدلوا على هذا المعتقد بأدلة كثيرة منها:

قوله تعالى في بيان إحاطة علمه وكتابته لكل شيء:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله:﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

قال ابن كثير : "ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها"[(٢)].

وقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) ينظـر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٢٣٨، ٣٩٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٩ ،) وشفاء العليل لابن القيم (١/١٨١) ومعارج القبول (٢/٢٢٥) وتقريب التدمرية (١٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٣٠٤).

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : سُئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين، فقال : **(الله أعلم بما كانوا عاملين)** رواه البخاري ومسلم(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: (وعرشه على الماء)**(٢).

قال أبو الحسن الأشعري: "وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علماً لم يزل، وقد قالوا : علم الله لم يزل وعلم الله سابق للأشياء، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنـزل : كل هذا سابق في علم الله، فمن جحد أن لله علماً فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم"(٣).

وفي إثبات مشيئته جل وعلا قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الأنعام: ٣٩].

وفي بيان تعلق مشيئة عباده بمشيئته تعالى قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩].

قال البغوي : "أي: أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا شراً إلا بخذلانه"(٤).

وفي بيان عموم خلقه تعالى قال:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]

وقال مبيناً خلقه لأفعال العباد:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقد اختلف أهل العلم من المفسرين وغيرهم في (ما) الواردة في هذه الآية، هل هي موصولة أم مصدرية، فرجح بعضهم كونها مصدرية كالقرطبي وابن كثير،

---

(١) البخاري: (٦/٢٤٣٤) ح (٦٢٢٤)، ومسلم: كتاب (١٦/٤٥٠) ح (٢٦٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٦/٤٤٢) (٢٦٥٣).

(٣) الإبانة (١١٤).

(٤) معالم التنزيل (٨/٣٥١).

ورجح بعضهم كونها موصولة كابن تيمية[1] وابن القيم[2]، وعلى كلا الاحتمالين فإنها تدل على خلق الله لأفعال العباد لأن الاحتمالين متلازمان.

قال القرطبي : "والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدراً، والتقدير: والله خلقكم وعملكم، وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلقُ الله عز وجل واكتساب للعباد، وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية"[3].

وقال ابن كثير : "يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون الكلام: خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره:والله خلقكم والذي تعملونه[4]، وكلا القولين متلازم، والأول أظهر"[5].

وقال الطحاوي في عقيدته: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد"[6].

وقد خالف في هذا الباب عدة طوائف:

فغلاة القدرية الأولى أنكروا علم الله المتقدم وكتابته السابقة وقالوا: إن الأمر أنف، فليس لله علم بالأشياء قبل وقوعها، فإذا وقعت علمها، -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- ثم إن منهم من نفى علم الله بالكليات والجزئيات، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف أي: مستأنف"[7].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/١٦-١٧).

(٢) ينظر: شفاء العليل (١/١٥٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٩٦).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٩/٥٧٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٢٢).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٦٣٩).

(٧) مجموع الفتاوى (٨/٤٥٠) وينظر أيضاً: كتاب الإيمان له ص (٣٦٤)، والفرق بين الفرق ص (١١٤).

وقال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية : "وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل وقالوا : إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" [(١)].

وقال الحافظ ابن حجر : "وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف من القدرية إنكار كون الباري عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها منهم"[(٢)].

وهؤلاء المخالفون في علم الله تعالى قد نص جمع من أهل العلم على أنهم قد اندرسوا وانقرضوا[(٣)]، وما تقدم من الأدلة حجة عليهم.

وذهب الفلاسفة إلى نفي مشيئة الله تعالى بالكلية فلم يثبتوا له مشيئة أوجد بها الخلق[(٤)].

وزعمت المعتزلة القدرية أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكنَّ الكافر شاء الكفر، فجوَّزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وقالت: إن كون الله عدلاً يقتضي أن ننفي عنه إرادة الكفر والمعاصي، وقالوا: إن العبد هو المحدث والخالق لفعله، والله تعالى لا يخلق أفعال العباد.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٥٣).

(٢) الفتح (١/١١٩) وينظر: لوامع الأنوار (١/٣٠٠).

(٣) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (١/١٣٢) وشرح النووي على مسلم (١/٢٦٩) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٥٠ ، ٤٩٧) ولوامع الأنوار (١/٣٠١).

قال أبو الحسن الأشعري في الرد عليهم كما في الإبانة (١٥٦): "وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يُبعثون ويُحشرون، وأن الكافرين في النار يُخلدون، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يُخلدون، وأن القيامة تقوم ولم تقم القيامة بعد، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون".

وقال ابن حزم في الفصل (١/٣٨٨) : "لمّا أخبرنا الله عز وجل بأن أهل النار لو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه، وأخبرنا عز وجل أنه يعلم متى تقوم الساعة، وأخبرنا بما يقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولا، وسائر ما في القرآن من الأخبار الصادقة عمّا لم يكن بعد، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدم لوجودها ولكونها ضرورة".

(٤) ينظر: شفاء العليل (١/١٢٥).

قال القاضي عبد الجبار : "فصل في أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي. ثم قال : واتصال هذا الفصل بباب العدل ظاهر، فإن الإرادة فعل من الأفعال ومتى تعلقت بالقبيح فتجب لا محالة، وكونه تعالى عدلاً يقتضي أن تنفى عنه هذه الإرادة"(١).

ونفت الجهمية الجبرية أن يكون للعبد مشيئة وإرادة، وقالت: إن الكون كله بقضاء الله وقدره ومشيئته، والعبد مجبور، ليس له فعل، وليس بقادر أصلا، والله هو الفاعل لفعل العبد، وإنما ينسب الفعل للعبد مجازاً(٢).

وما تقدم ذكره من الأدلة رد على هذه الطوائف كلها، وبه تتضح وسطية أهل السنة والجماعة، فلم يسلبوا العبد مشيئته واختياره، وينفوا عنه فعله كما فعلت الجبرية، ولم يجعلوا العبد مستقلاً بإرادته وفعله، كما فعلت القدرية، بل أثبتوا للعبد إرادة ومشيئة، لكنها مرتبطة بمشيئة الله تعالى، كما أن العبد فاعل على الحقيقة، والله تعالى خالقه وخالق فعله، فأفعال العباد من الله خلقاً وتقديراً، ومن العباد فعلاً وكسباً.

(١) شرح الأصول الخمسة (٤٣١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/٤٦٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل وأزكى البريات، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تبين مما سبق معنى الوسطية، وهو: الاعتدال والقصد والاستقامة المتضمنة للخيرية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تقصير ولا مغالاة.

كما تبين أن ثمة مصطلحات وألفاظ استعملها الشارع بمعنى الوسطية، وهي كذلك في لغة العرب، ومنها: القصد، والاعتدال، والسداد، والاتزان، والاستقامة.

كما تم استعراض أركان الإيمان، وإبراز ما اتسمت به من الوسطية، وما اتسم به أهل السنة والجماعة من التزام الوسطية في ذلك، وذلك مبسوط في موضعه من هذا البحث.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس المصادر

- الإبانة عن أصول الديانة. لأبي الحسن الأشعري. تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد–مكتبة دار البيان، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل. مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف. الناشر: دار الفكر.
- تفسير القرآن العظيم. للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي. تحقيق: مصطفى السيد محمد، وزملاؤه. دار عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ.
- تقريب التدمرية. للشيخ محمد العثيمين. دار الوطن.
- تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. عناية: محمد عوض مرعب وزملائه. دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للسعدي. مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي. لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. الطبعة الثانية.
- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق الدكتور: عبد الله التركي بالتعاون مع دار هجر. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية. تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر ود. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ود. حمدان بن محمد الحمدان. دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- السنة للإمام أبي عبد الله المروزي. تحقيق: الدكتور عبد الله البصيري.دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- شرح الأصول الخمسة. للقاضي عبد الجبار بن أحمد. عناية: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة.

- شرح رياض الصالحين. للشيخ محمد العثيمين. دار البصيرة، الإسكندرية، الطبعة الثانية.
- شرح صحيح البخاري. لابن بطال. تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- شرح صحيح مسلم. لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. راجعه: خليل الميس. الناشر دار القلم.
- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الدمشقي. تحقيق: الدكتور عبد الله التركي والشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- الشريعة. للآجري. تحقيق: الدكتور: عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لابن قيم الجوزية. عناية: مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لعلي بن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري. ضبطه ورقمه واعتنى به: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- صحيح سنن أبي داود. صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود. لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر القسطلاني. تصحيح وتحقيق وإشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الناشر: دار الفكر.
- الفتوى الحموية الكبرى. لابن تيمية. تحقيق: د. حمد التويجري. دار الصميعي، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل. للإمام ابن حزم. عناية: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- القصد والوسطية في ضوء السنة النبوية. لأبي إبراهيم عبد الواحد بن يوسف الشربيني. مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- لوامع الأنوار البهية. للسفاريني. علق عليه عدد من أهل العلم. المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- مجموع الفتاوي. لابن تيمية. جمع: عبد الرحمن بن قاسم.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معارج القبول. للشيخ حافظ الحكمي. من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- معالم التنزيل. للبغوي. تحقيق: محمد النمر-عثمان ضميرة-سليمان الحرش، دار طيبة.
- معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل.
- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين. للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل. مكتبة أضواء السلف،الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ.
- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وزملائه. المكتبة الإسلامية.
- مفردات ألفاظ القرآن. للراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. لأبي العباس القرطبي. محي الدين مستو وزملائه، دار ابن كثير -دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، ١٤١١هـ.
- الوسطية في الإسلام. فريد عبد القادر. رسالة علمية في جامعة الإمام.
- الوسطية في القرآن الكريم للدكتور: علي الصلابي. دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.